سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

شرح «العقيدة الوَاسِطِيَّةِ»

الدرس السادس عشر

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس السادس عشر

وَقَوْلِهِ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن]، وَقَوْلِهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٧٧].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة:٦٤].

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

اللّٰهمَّ نسألك علما نافعا وعملا صالحا وقلبا خاشعا، اللّٰهمَّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا يا أرحم الراحمين.

أما بعد..

فهٰذه الآيات فيها ذكر صفتين من صفات الله جل وعلا التي تكاثرت الأدلة علىٰ إثباتها في الكتاب والسنة، ويجب الإيمان بها وإثباتها لله جل وعلا، ودحض ومنع التأويلات التي تُخرجها عن حقائقها مع نفي الكيفية ونفي التمثيل والمشابهة بين صفات الله جل وعلا وصفات خلقه.

صفة (الوجه) لله جل وعلا ذكر عليها من الأدلة قوله جل وعلا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ وذكر قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.. ثم ذكر صفة (اليد) لله جل وعلا وذكر جملة من الأدلة علىٰ إثباتها مما سيأتي.

أما صفة (الوجه) لله جل وعلا فهي من الصفات الذاتية والله جل وعلا أثبت لنفسه وجها كما أثبت كما أثبت لذاته (يدين) وكما أثبت له نبيه ﷺ (عينين) وكما أثبت لنفسه سائر الصفات الذاتية كـ(السمع) و (البصر) ونحو ذلك، فهٰذه الصفة صفة (الوجه) من جنس تلك الصفات التي وصف الله جل وعلا بها ذاته، وصف الله جل وعلا بها نفسه، وهٰذه الآيات التي فيها الصفات يجب أن يُصَدق بها وأن يُؤمَن بها؛ لأن باب الصفات باب واحد لا فرق فيه بين صفة وصفة، فكما أننا نُثبت صفة (السمع) وصفة (البصر) وصفة (الكلام) وصفة (الحياة) وصفة (الإرادة).. إلىٰ آخر تلك الصفات التي يثبتها المبتدعة ويثبتها أهل السنة، نثبت أيضا الصفات الذاتية: صفة (الوجه) وصفة (اليدين) وغير ذلك من الصفات، فالباب باب الصفات باب واحد هٰذا أصل وقاعدة عظيمة في ذلك، فإن أهل السنة لم يفرقوا بين صفة وصفة، لم يفرقوا بين نعت ونعت؛ بل أجروا الجميع مُجرىً واحدا فكل ما كان صفة لله جل وعلا أثبتوه ومنعوا تحريفه وآمنوا به علىٰ الوجه اللائق به جل وعلا من ذلك صفة (الوجه) لله جل وعلا.

و(الوجه) جاء إثباته في آيات كثيرة وفي أحاديث عن النبي ﷺ، منها قوله جل وعلا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ فقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ فيه إثبات صفة (الوجه)؛ لأنه أضاف الوجه إلىٰ الرب جل وعلا، ثم نعته نعت الوجه بقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ هنا أضاف الوجه الذي هو صفة أضافه لنفسه وفي هٰذا إثبات كونه صفةً لله جل وعلا.

أما الآية الأولىٰ وهي قوله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ فقد قال فيها الشعبي عامر بن شراحيل إمام من أئمة التابعين: (لا تقف علىٰ قوله: ﴿فَانٍ ﴾ وإنما صِلْ) ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾، تصل بين الآية الأولىٰ والآية الثانية؛ لأن فناء الأشياء ليس مما يمدح؛ لكن يمدح الإفناء، والله جل وعلا يفنيها والذي في هٰذه الآية هو فناؤها ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ وإنما أريد بالآية ما هو حمد وثناء علىٰ الله جل وعلا بكون كل شيء يفنىٰ ويبقىٰ وجه الله جل وعلا ذو الجلال والإكرام، قال جل وعلا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ يعني كل من عليها هالك ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ففي ذلك إثبات أن الأشياء هالكة فانية، وأن الذي يبقىٰ هو الله جل وعلا، وهنا ذكر البقاء لوجهه جل وعلا وذلك مقتضٍ لتشريفه وتعظيمه.

كذلك قوله جل وعلا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ﴾ من المخلوقات ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ﴾ يعني يفنىٰ ويذهب وليس موصوفا باستحقاق البقاء، وإنما الذي يبقىٰ هو وجه الله جل وعلا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾، والله جل وعلا يبقىٰ كما جاء في آية سورة غافر: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ بعد أن يفني كل شيء فيقول: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ ثم يجيب جل وعلا نفسه العظيمة بقوله: ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾.

إذا تبين لك ذلك فقوله جل وعلا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الكلية في الآية الأولىٰ وكذلك الكلية في الآية الثانية علىٰ هٰذا التفسير الذي قدَّمتُ وهو أن المراد بـ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ علىٰ أن المراد به الإفناء والإهلاك للذوات، الكلية هنا يدخلها التخصيص وذلك أن ﴿كُلُّ﴾ من ألفاظ الظهور في العموم قد يستثنىٰ منها أشياء يعبر عنها كثير من أهل العلم بقولهم: (عموم (كل) في كل مقام بحسبه)، لهٰذا قال جل وعلا في وصف الريح قال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[الأحقاف:٢٥] فقال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ بقيت المساكن مع أنه جل وعلا قال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾، وذلك أن ﴿كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يعني مما أتت عليه الريح، فهو عموم مخصوص، ولهٰذا قال جل وعلا في الآية الأخرىٰ في آية الذاريات: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾.

وكذلك قال جل وعلا في وصف ملكة اليمن بلقيس قال: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ مع أن ثم أشياء لم تؤت إياها؛ بل اختص بها سليمان عليه السلام، وإنما المقصود ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يؤتاه الملوك في الغالب.

فإذن عموم (كل) فيه الظهور وهٰذا يقبل الاستثناء، أو نقول: إنَّ العموم في كل مقام بحسبه.

المستثنىٰ: ما شاء الله، كما قال جل وعلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴾[الزمر:٦٨]، فهنا استثناء أنه يصعق كل شيء، ويفنىٰ كل شيء، إلا من شاء الله، وهٰذا علىٰ أحد التفسيرين.

والتفسير الثاني لهاتين الآيتين أن المراد بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ و﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ المراد به الأعمال التي تُعْمَل، وعلىٰ هٰذا جمع من السلف في تفسير آية القصص ﴿كُلُّ

﴿ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ قال طائفة منهم: كلُّ شيء هالك من الأعمال إلا ما أُريد به وجهه جل وعلا، فالأعمال المُخْلَصة التي أخلص فيها أصحابها هي التي تبقىٰ لهم، أما أعمال المشركين فهي هالكةٌ ويُفنيها الله جل وعلا، كما قال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ [إبراهيم:١٨] وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾[النور:٣٩]، وكما قال جل وعلا: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان]، فإذن يكون المعنىٰ هنا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ يعني: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ هل تحتمل هذين التفسيرين؟ هٰذا فيه نظر، ومنهم من جعل هٰذه الآية مثل آية القصص ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ يعني من الأعمال؛ لكن هٰذا ليس بوجيه لمجيء ﴿ مَنْ ﴾ فيها وقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ لكن منهم من جعلها من جنس آية القصص، لكن آية القصص فيها نص من السلف علىٰ أنهم فسروها – يعني طائفة منهم – فسروها بأن المراد: كل شيء هالك إلا ما أريد به وجهه.

إذا تقرر ذلك، فما معنىٰ كون البقاء لوجه الله والأشياء تهلك إلا وجه الله؟ ما فائدة التخصيص هنا بقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾؟ هٰذا يستفاد منه:

أولا: بقاء الله جل وعلا؛ لأنه إذا بقيت صفة من صفات الله الذاتية فالله جل وعلا باق.

والثاني: أن يقال: هنا خصص الوجه لجلاله وإكرامه وعظمته وتشريفه لذلك لكون المخلوقات تقصد وجه العظيم، فهنا خص لأجل هٰذا فيكون هٰذا أبلغ في نفس المستمع، أبلغ في نفس المخلوق.

ويعبر بعضهم هاهنا تعبيرا لا يليق، يقول هنا في قوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ يقول هٰذا من إطلاق الجزء وإرادة الكل، والنتيجة صحيحة؛ لكن التعبير ليس بجيد، وذلك لأن الله جل وعلا لا يعبَّر عن صفاته بالجزء والكل، وإنما يقال: هٰذا فيه إثبات بقاء الوجه وهٰذا يقتضي إثبات بقاء الذات، تخصيص الوجه هنا لعظمته ولتشريفه أو لأن الناس يقصدونه أو نحو ذلك.

إذا تقرر ذلك، ووضح لك المراد من وجه الاستدلال بهٰذا، ومعنىٰ الآيتين، فإن المخالفين في هٰذه الصفة:

- منهم من أول الوجه، منهم من قال: الوجه هنا مجاز والمراد به الذات والله جل وعلا ليس له وجه تعالىٰ الله عن قولهم علوا كبيرا، قال يراد به الذات.
- ومنهم من قال: الوجه يراد به الثواب يعني ويبقىٰ ثواب ربك.

ولا شك أن هذين من جنس التحريفات التي يقولونها في الصفات، وكما تنظر في الآية بل في الآيتين أن الله جل وعلا قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ وفي الآية الثانية قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾، والقاعدة في العربية وهي في صفات الله جل وعلا أن الأشياء التي تضاف علىٰ الله علىٰ قسمين:

- أعيان.
- وصفات.

الأعيان يعني ذوات كما قال الله جل وعلا: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ ﴾[الشمس] (بيت الله)، (كعبة الله) ونحو ذلك، فهٰذه الإضافة إضافة مخلوق إلىٰ خالقه، مملوك إلىٰ مالكه، وهٰذه تقتضي أن يكون لمن

أُضيف إلىٰ الله مزيدُ تشرف؛ لأنَّه خُص بالإضافة كذلك وصف النبي ﷺ بأنه عبد الله لأنه مخصوص بهٰذه الصفة ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾[الجن].

فإذن إضافة الذات الذوات الأعيان إلىٰ الله جل وعلا هٰذه إضافة تكريم وتشريف فيها تخصيصها لمزيد بيان فضل هٰذه الأشياء.

القسم الثاني إضافة صفات، وإضافة الصفات أيضا علىٰ قسمين:

- إضافة صفات مستحقَّة لله جل وعلا، وهٰذه يأتي بعدها لام الاستحقاق.
- والثاني إضافة صفات يتَّصف الله جل وعلا بها.

القسم الأول: كقوله جل وعلا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ فهٰذا ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ ليس من صفات الله، ولكن التسبيح بـ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ يعني تسبيح هٰذا مستحق لله، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ يعني الحمد مستحَق لله، ﴿ صَلَاتِى وَنُسُكِى .. لِلَّهِ ﴾ يعني مستحقة لله، أو تكون مملوكة له جل وعلا.

القسم الثاني من هٰذا النوع: هو ما كان صفة لله جل وعلا ولا يقال: هو مستحق لذلك؛ لأن العبد ليس له فعل في هٰذا النوع مثل ما جاء هنا (وجه الله) ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ هٰذه هنا أضاف صفة الوجه إلىٰ الله، والوجه صفة ليس بعين يعني ليس بذات تقوم بنفسها، فهو صفة، والصفة هنا ليست مستحَقة لله – يعني مستحقة يفعلها العبد يتوجه بها إلىٰ الله – وإنما هي صفة من الصفات التي يستحقها الله جل وعلا استحقاق موصوف لصفته.

كذلك ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ من هٰذا الجنس (سمْع الله) من هٰذا الجنس (قدرة الله) (قوة الله) (كلام الله) (رَحْمَةُ اللهِ) (سلام الله) كلها من هٰذا الجنس، فإذن هي إضافة صفات إلىٰ متصف بها.

وإذا كان كذلك فهذ الذي في هٰذه الآيات وفي غيرها في هٰذا الباب، فالإضافة تقتضي رد قول من أوّل أو قال: إن في الآية مجازا؛ لأنهم قالوا: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ قالوا: يعني ويبقىٰ ربك والوجه هٰذا المراد به الذات، ويبقىٰ ذات ربك، أو ويبقىٰ ثواب ربك ونحو ذلك.

نقول هنا: الوجه صفة من صفات الله جل وعلا لأنه أولا أضافه إلىٰ نفسه وهو منطبق علىٰ ما ذكرنا من القاعدة.

ثانيا أن قوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ هنا نعت الوجه بأنه ذو الجلال والإكرام فقال: ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ فـ(ذُو) نعت للوجه ولو أراد أن النعت للرب جل وعلا لقال (ذي الجلال والإكرام) كما جاء في آخر السورة سورة الرَّحمٰن حيث قال جل وعلا: ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وذلك أن الجلال والإكرام للرب جل وعلا لا لاسمه، وذلك أن أسماء الله منقسمة كما سيأتي.

هنا قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ فإذن الجلال والإكرام هاتان صفتان لوجه الله جل وعلا: ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ وجه الله وهو ذو (الْإِكْرَامِ) هٰذا يمتنع عربية أن يكون نعتا للرب (وجه ربك ذي) لا قال: ﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ فهو نعت للوجه.

وهٰذا ظاهر واضح من حيث العربية ومن حيث القواعد في الصفات.

من المنتسبين للأشاعرة أو الذين جروا علىٰ طريقتهم وإن كانوا أخف طبقات الأشاعرة منهم من

يفرق في الصفات بين صفات الذات وصفات الفعل مثل (الخطّابي) و(البيهقي).

(البيهقي) له تأويلات من جنس الأشاعرة لكنه هو و(الخطابي) ومن علىٰ شاكلتهم أخف الأشاعرة؛ لأنهم لم يتابعوهم في كل أصولهم، وإنما في الصفات حرفوا علىٰ أصولهم.

مثل ما جعلهم شيخ الإسلام في أخف طبقات الأشاعرة، أو الذين تأثروا بالأشاعرة.

(البيهقي) مثلا في الأسماء والصفات يفرق، فالصفات الذاتية عنده يقول: تُثبت، الصفات الفعلية أو ما تؤول بالفعل يقول: لا تثبت. يميز بينها (البيهقي) في كتابه الأسماء والصفات بقوله (باب الوجه لله) أو (باب اليدين لله) أو (باب إثبات الوجه لله) (باب إثبات اليدين لله) وأما الأخرىٰ فيقول: (باب ما جاء في الأصبع)، (باب ما جاء في النزول)، (باب ما جاء في كذا) فيفرق بين هٰذه وهٰذه، فيثبت البعض ويخالف في إثبات الأخريات.

والجواب أن الباب باب واحد، فكل من أثبت بعضا ونفىٰ بعضا فهو متناقض فيما فرق فيه.

قوله جل وعلا هنا: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (ذو) بمعنىٰ صاحب، يعني صاحب الجلال، يعني الموصوف بالجلال والإكرام، فإذن الجلال والإكرام هٰذه صفة للوجه، وهو صفة لله جل وعلا كما في آخر السورة ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ **والجلال هو التعظيم والهيبة**، وأسماء الله وصفاته منقسمة إلىٰ قسمين بأحد الاعتبارات:

- صفات جلال وأسماء جلال.
- وصفات جمال، وأسماء جمال.

ولهٰذا في الختمة ختمة القرآن المنسوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية فيها هٰذا التفريق حيث قال في أوله (صدق الله العظيم المتوحِّد بالجلال بكمال الجمال) وهٰذه من الألفاظ التي أشعرت كثيرا من أهل العلم بصحة نسبة تلك الختمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، المقصود أن صفات الله وأسماء الله جل وعلا منقسمة إلىٰ جلال وجمال.

معنىٰ الجلال يعني الصفات والأسماء التي تورث العظمة والهيبة والخوف (هٰذا واحد) مثل أيش؟ (القوي)، (العزيز)، (الجبار)، (القهار)، (القدير).. إلىٰ آخر هٰذه الصفات والأسماء.

صفات وأسماء الجمال هٰذه هي التي ينبعث عنها المحبة والرغب، فكل صفة ينشأ عنها المحبة يقال لها صفة جمال، فمِن صفات الله جل وعلا أنه (جميل)، هٰذه من صفات الجمال الله جل وعلا هو (الرَّحمٰن الرحيم) هٰذه من صفات الجمال، (السلام) من صفات الجمال، (المؤمن) (الودود) ونحو ذلك، الأسماء والصفات التي هي من تفريعات الربوبية -ربوبية الله علىٰ خلقه- هٰذه من قسم الجمال وهي التي تورث حسن التوكل علىٰ الله جل وعلا.

المقصود أن هٰذا باب يعني فيه تقسيم الصفات علىٰ هٰذا النحو يحتاج إلىٰ مزيد إيضاح لكن المقصود ما يناسب قوله جل وعلا: ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ الإكرام هنا الإكرام من (الكريم) أو من (الكَرامة)، وقد ذكرنا لكم فيما مضىٰ أن الكريم والكرامة في اللغة ما معناها؟ من هو الكريم في اللغة؟ الكريم هو الذي فاق جنسه في صفات الكمال؛ هٰذا الكريم.

وصفات الكمال هنا اللي هي صفات الجمال فقال هنا: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ يعني الذي فاق في أوصاف الجمال.

فجمعت الآية بين الجلال والجمال اللذَين تنقسم إليهما الصفات، فدل علىٰ أن وجه الله جل وعلا فيه صفة الجلال وفيه صفة الإكرام، وهو جل وعلا ذو الجلال والإكرام في صفاته وذاته جل وعلا.

قال بعض أهل العلم: المراد بـ ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ يعني أهل الجلال يعني أهل لأن يجل، أهل لأن يكرم كما قال في آية المدثر ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾[المدثر] يعني أهل لأن يتقىٰ أهل لأن يغفر، هنا ﴿ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ﴾ قال بعضهم معناها أهل الجلال يعني المستحق لأن يجل، المستحق لأن يكرم، **ويكرم يعني يتوجه إليه بالعبادة الكاملة، ويجل يعني يعظم التعظيم اللائق به جل وعلا.**

إذا تبين لك ذلك الوجه الأول بأن يُجل ويكرم جل وعلا، ومن قال: إنه يقال هو المستحق للإجلال المستحق للإكرام فإن معنىٰ ذلك أنه يوهم أن الأول منفي؛ وذلك لأن الصفة – صفة الجلال والإكرام – أثبتت لله جل وعلا، فلا يريد أن يثبتها للوجه بخصوصه؛ لكن هٰذا ليس بسديد لما ذكرت.

هٰذا بعض ما يتصل بالكلام علىٰ هاتين الآيتين، فالواجب إذن الإيمان بنصوص الصفات والتسليم بها وإثبات ما أثبت الله جل وعلا لنفسه، وعدم الخوض في ذلك بما يصرفها عن حقائقها اللائقة به جل وعلا، فالباب بابُ الصفات باب واحد، فمن فرق فيه بين صفة وصفة فقد عطَّل وتناقض.

هٰذا سؤال بالمناسبة يقول: ما حكم إطلاق صاحب الجلالة علىٰ البشر كأن يطلق علىٰ صاحب منصب كملك أو أمير أرجو التوضيح.

سئل هٰذا السؤال الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: لا بأس لأن له جلالة تناسبه.

وقد وصف ابن عباس وجماعة بأنهم ذو جلالة. فصاحب الجلالة يعني الذي له جلالة تناسبه، الاشتراك هنا بأن الجلالة يريد منها أنها يمنع إطلاقها علىٰ البشر هٰذا ليس صحيح، مثل ما أطلق الله علىٰ من يملك في الدنيا بأنه الملك، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ﴾ وهو جل وعلا الملك، الجلالة منقسمة، الجلالة معناها يعني وصف يقتضي هيبة، يعني هو ذو المهابة والتعظيم، وله تعظيم ومهابة تناسبه والنبي ﷺ لما أرسل إلىٰ ملك الروم قال: «من محمد بن عبد الله رسول الله إلىٰ عظيم الروم» فله عظمة تناسبه.

فإذن العظمة والجلالة والهيبة لكل أحد بما يناسبه وليست هي من الصفات المختصة، وجواب الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سئل عن ذلك قال: (لا بأس لأن له جلالة تناسبه) مثل الرحمة تناسب المخلوق، المُلك يناسب المخلوق، السمع يناسب المخلوق إلىٰ آخره...

الجملة الثانية من الآيات فيها إثبات صفة اليدين لله جل وعلا قال سبحانه لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ هنا ثنَّىٰ اليد ﴿بِيَدَيَّ ﴾ مثنىٰ يد يعني كأنه قال: (ما منعك لأن تسجد لما خلقت بيدي الثنتين)، وقال جل وعلا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، فاليهود قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾ يعني مكفوفة عن الإنفاق، قال جل وعلا: ﴿ بَلْ يَدَاهُ ﴾ يعني الثنتان ﴿مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

وهٰذه الآيات وغيرها فيها إثبات صفة اليد لله جل وعلا، ومن الأدلة علىٰ إثباتها أن الله جل وعلا

وصف نفسه بأنه ذو يدين، والمتأوِّلة قالوا: اليد بمعنىٰ القدرة، أو اليد بمعنىٰ النعمة، وهٰذا القول لا يناسبه عند ذوي العقول أن يكون مثنىٰ، لأن القدرة والنعمة جنس، وأما قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلا يناسبه أن تكون (بقدرتي أو بنعمتي)، ولهٰذا الدارمي في رده علىٰ بشر المريسي من أوجه الرد قال: (وأي قدرتين أراد؟) هٰذا لا شك أنه من الباطل، أن يقال: إن هٰذا بمعنىٰ القدرتين؛ لأن القدرة واحدة، ولِمَ القدرتان بخصوصهما، وأي القدرتين التي أراد؟ أي النعمتين؟ ونحو ذلك.

فإذن هٰذا كله فيه إثبات الصفة صفة اليد لله جل وعلا.

والنصوص التي جاء فيها إثبات صفة اليد لله جل وعلا جاءت علىٰ ثلاثة أنحاء:

- منها إثبات صفة اليد مفردة، كقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.
- ومنها إثبات صفة اليدين مثناة، كقوله جل وعلا: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.
- ومنها أن تكون مجموعة كما قال جل وعلا: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس]، ﴿أَيْدِينَآ﴾ هٰذا جمع.

فإذن وردت علىٰ الإفراد والتثنية والجمع، لهٰذا نظر فيها أهل السنة في ذلك وقالوا: التثنية هٰذا نص، والجمع ﴿أَيْدِينَآ﴾ لا يمنع التثنية، والإفراد لا يمنع التثنية.

ذلك أن الإفراد للجنس، فمن له أكثر من شيء قد يطلق مفردا وذلك لإرادة الجنس.

أما الجمع - هٰذا مثله مثل صفة العين كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ونحو ذلك - فإن الجمع له قاعدة في اللغة قاعدة في النحو، وذلك أن المثنىٰ إذا أضيف إلىٰ ضمير تثنية أو ضمير جمع فإنه يجوز فيه أن يُجمع - يعني المثنىٰ - تخفيفا وهٰذا أفصح، ويجوز فيه أن يبقىٰ علىٰ تثنيته، وهٰذا أقل في الاستعمال، يعني أقول، أنا أقول: (يد محمد)، و (يدا محمد) و(يد محمد وخالد) و (يدا محمد وخالد)، ثم أقول: (يد محمد وخالد ويداهما) هٰذا ضمير تثنية هٰذا يصح، وأيضا يصح في اللغة أن أقول: (يد محمد وخالد وأيديهما) لأن القاعدة أن المثنىٰ إذا أضيف إلىٰ ضمير تثنية أو ضمير جمع جاز جمعه وهو الأفصح.

ويدل عليه في القرآن قول الله جل وعلا في سورة التحريم: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]، فخاطب جل وعلا عائشة وحفصة بقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ عائشة لها قلب واحد وحفصة لها قلب واحد والمجموع قلبان؛ فقال: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾ يعني مالت ﴿قُلُوبُكُمَا﴾ فجَمَع لماذا؟ لأنه أراد الإضافة إلىٰ ضمير التثنية، المقصود هٰذه قاعدة، لهٰذا نقول:

ما ورد مثبتا بصيغة الجمع كقوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ونحوها من الآيات فهٰذا فيه إثبات التثنية لأن التثنية نُص عليها بخصوصها والتثنية لا تحمل إلا علىٰ التثنية، المثنىٰ نص في المثنىٰ، أما الجمع فليس نصًّا عند الأصوليين بما زاد عن الاثنين كذلك المفرد ليس نصًّا عند الأصوليين في الواحد؛ بل يحتمل أن يكون المراد أكثر من الواحد، لهٰذا نقول: المفرد ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ هٰذا يفسر باليدين لأن المراد الجنس.

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ المراد (يدَيْنا) لكنه أضافه إلىٰ ضمير الجمع، أضاف المثنىٰ إلىٰ ضمير الجمع فجمع المثنىٰ تخفيفًا علىٰ الأفصح في لسان العرب.

إذا تبين لك ذلك فمن الباطل أن يقال: إن الله جل وعلا له أيدي، كما قاله بعض من لم يفقه، أو أن الله جل وعلا له أعين كما قاله بعض من لم يفقه. فهٰذا فيه غلو في الإثبات وعدم فقه للسان العرب.

والله جل وعلا موصوف بأن له يدين وهي نص فيها، وأما يجمع فيرجع إليه، ولهٰذا جاء في السنة ما يبين هٰذا التنصيص بقوله ﷺ: «علىٰ يمين الرَّحمٰن وكلتا يديه يمين» (يديه) «كلتا يديه يمين» كل هٰذه نص بأنهما اثنتان.

أما الذين تأولوا فمنهم من ذهب إلىٰ المجاز في نفي اليد وقال: إنها مجاز عن القدرة مجاز عن الإنعام، ومنهم من قال: إن ذلك يُأَوَّل والمراد لازم ذلك، ومما استدلوا به أن العرب تقول: (لفلان عليّ يد) يعني نعمة وفضل، فنقول: هٰذا الكلام صحيح فإن العرب تقول: (لفلان عليّ يد) وتريد النعمة يعني له علي نعمة؛ لكن العرب لا تستعمل ذلك إذا أرادت النعمة إلا علىٰ وجه واحد فقط ألا وهو القطع عن الإضافة، ما تقول (يد فلان علي)، (يد محمد علي) إذا صار لمحمد فضل عليه تقول: (يد محمد علي) هٰذا لحن، ولم تستعمله العرب قط، وإنما تقول: (لمحمد عليّ يد) بالقطع عن الإضافة؛ لأنه بالقطع خرجت إرادة الصفة (يد) هنا ليست يد محمد لكن يد بمعنىٰ النعمة.

فتقول: (لفلان عليك يد) يعني عليك نعمة لأنك قطعت، ولا يجوز أن تقول: (يد محمد علي) بمعنىٰ نعمة محمد علي.

فإذن استعمال يد بمعنىٰ النعمة صحيح في لسان العرب والشواهد عليه معروفة؛ ولكن هٰذا جاء علىٰ نحو واحد وهو أن يقطع عن الإضافة، أما إذا أضيفت اليد إلىٰ الذات، فإنه يراد الذات المتصفة باليد.

مما قيل في ذلك يعني في صفة اليد لله جل وعلا، وكذلك صفة الوجه لله جل وعلا مما اعترض به علىٰ أهل السنة؛ ولكن اعتراض باطل وهو أن الله جل وعلا قال في الوجه قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾[البقرة] شيخ الإسلام لما اعتُرض عليه بذلك حيث قال لما جاءت المناظرة في الواسطية قال: أتحداكم وأمهلكم ثلاث سنين لو ظفر واحد منكم – يعني من العلماء الذين حوله – لو ظفر واحد منكم بآية في الصفات تأولها السلف، فقالوا: أرجئنا يوما واحدا، فلما أتىٰ من غد قالوا: ظفرنا بذلك قال أظنكم تريدون قوله جل وعلا: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قالوا: نعم قال هٰذا معناه الوُجهه، فأينما تولوا فثم وجهة الله يعني فثم القبلة، وليس هٰذا من نصوص الصفات. يعني قصده من ذلك النصوص التي هي ظاهرة في الصفات.

ومثله – مثل هٰذا – في قوله جل وعلا في اليد قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الذاريات]، ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ قالوا هنا: معنىٰ (أيد) يعني القوة، و(أيد) هٰذه أصلها (أيدي)؛ لكن لما جرت هنا حذفت الياء يعني أصلها (والسماء بنيناها بأيدٍ) هكذا قالوا.

والجواب: أن هٰذا ليس بصحيح، وذلك أن (الأيد) في لغة العرب (الأيد) بمعنىٰ القوة، وليس ثَم علاقة بين الأيد واليد، وذلك أن الهمزة في (أيد) أصلية، (أيد) الهمزة فيها أصلية: آد يؤود أيدًا، والأيد القوة ولها معانٍ أخر، فالهمزة هنا ليست للجمع، ولكنها همزة أصلية في الكلمة، هٰذا لأجل أن معناها القوة.

فإذن هٰذه الآية ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ ليست هنا جمع (يد) يعني (والسماء بنيناها بقوة وإنا لموسعون).

ويدل عليه قوله جل وعلا في سورة ص: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾، هنا ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ يعني أيش؟ هنا يصفه جل وعلا بما لم يشترك فيه مع غيره، من جهة اليدين كل إنسان له يدين، جل وعلا يصفه بما ليس في غيره وهو أنه ذو القوة التي اختصه بها، خصه الله جل وعلا بها فقال: ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ صارت عندنا (أل) التعريف مع كلمة (أيد) التي هي القوة و(أيد) هٰذه الثانية هي التي في سورة الذاريات ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ يعني بقوة، ﴿ ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴾ يعني ذا القوة، ونحو ذلك وهٰذا باب معروف والمناظرة أو الرد علىٰ أولئك من السهل والحمد لله.

نكتفي بهٰذا القدر، ونجيب علىٰ بعص الأسئلة في الدقائق التي بقيب، نعم..

سؤال (): ما معنىٰ (كلتا يديه يمين)؟

(كلتا يديه يمين) العرب تصف الشمال بالنقص، اليد اليمنىٰ واليد اليسرىٰ، اليد اليسرىٰ عندهم ناقصة عن اليمنىٰ، فاليمنىٰ في الإنسان عند العرب هي ذات الكمالات، واليسرىٰ هي لما لا يحمد من الأمور، فيها العجز وفيها مزاولة ما لا ينبغي، فالنبي ﷺ حينما أثبت ذلك قال: «علىٰ يمين الرَّحمٰن» حتىٰ لا يتوهم أن إحدىٰ اليدين يمين في ذاتها وصفاتها والأخرىٰ ليست كذلك رفع ذلك الاحتمال بقوله: «كلتا يديه يمين» يعني (يعني كلتا يديه شريفة متصفة بصفات الكمال، ليست إحدىٰ اليدين مفضلة علىٰ الأخرىٰ) ثم هنا بحث: هل توصف الثانية بأنها شمال أم لا؟ هٰذا فيه بحث معروف يأتي إن شاء الله في موضعه. هو متصل الحقيقة باليدين؛ لكن يحتاج إلىٰ شيء من التفصيل.

سؤال (): كتاب عبد الرَّحمٰن حبنّكه يسأل عنه «أسس العقيدة الإسلامية».

الجواب: ما تحتاج لكتب المعاصرين، الآن طالب علم تقرأ كتب السلف، كتب المعاصرين الذين لا يبيّنون عقيدة أهل السنة قصدا ويوضحونها ما تحتاجها في العقيدة، خاصة العقيدة إياك، يعني حتىٰ تضبط عقائد السلف بتفصيلاتها، ثم بعد ذلك يمكن أن تقرأ في بعض الكتب في ذلك.

هٰذا الكتاب من جنس كتب كتب الشيخ عبد الرَّحمٰن حبنّكة الميداني هو عنده ميل إلىٰ الأشعرية أو التصريح بها في مواضع، وله كتاب اسمه «ضوابط المعرفة» كتاب فلسفي يعني المعرفة عند الفلاسفة...

نكتفي بهٰذا القدر، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.